المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فنضمّهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشجيعاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُختار على المطوّلة

ردّ على القصاري

(تابع ما قبلهُ)

وتوالت في الجيل السابع الاحن وتنابعت المصائب على العلم وذويهِ فنجوى الاّ في الصوامع والاديرة وبين الرهبان الذين حفظوا منهُ شعلةً أُعدّت لانارة الكون لهذا العهد وعدل السوريون عن فلسفة افلاطون ومالوا لارسطو وتمسكوا بمبادئهِ ودرسوا كتبهُ في اليونانية اما الكتّاب فكانوا مكسيموس وايسيكوس اسنف اورشليم ودوروتيوس وانتيوخس وصفرونيوس واخيوس وغيرهم وكلٌّ يعلم ان المدارس كانت كثيرة في سوريا لتعليم شبانها العلم والادب باللغة اليونانية لانها كانت لغة العلم والتجارة والهيئة الاجتماعية فيها كما حققهُ المؤرخون واما اللغة اللاتينية فكانت لغة الحكام في اعمالهم الرسمية ليس الاّ

فهذه شهادات التاريخ المكتوب لا تبقي مجالاً للزعم بانتشار السريانية في تلك الاحقاب ناهيك ان الكتابات الاثرية التي رآها اهل العلم بين انقاض المدن السورية القديمة تزيدنا برهاناً على غلبة اليونانية في كل الانحاء السورية منذ تسلط السلوقيين حتى الفتوح الاسلامي ومنها يتبين سقوط قول القصاري من انهُ لا يوجد رسم يوناني لمكانٍ في دمشق او في جوارها (القصاري صفحة ٣٤) والحال ان قرية معلولة التي يسكنها بقايا السريان الاقدمين حتى اليوم انما هي مدينة ماكلودا القديمة فاسمها يوناني كالكتابات الاثرية التي فيها ناهيك ان بلدان حوران المجاورة لدمشق هي اكثر بلاد سوريا محافظةً على الآثار اليونانية القديمة

وبرهاناً على ذلك نلخص بعض ما قرأهُ علماء الآثار بين تلك الانقاض فمن ذلك ان في قرية برّان كتابات يونانية على جدران بعض البيوت القديمة منها كتابتان احداهما مؤرخة في

السابع من شهر ايلاوس في السنة الخامسة والثانية في العاشر من شهر برنيوس في السنة الثامنة. وهو معلوم ان كلا الشهرين من شهور المكدونيين فاستنتج الآثاريون ان التاريخ سلوقي ولذلك فبدؤهُ سنة ٣١٢ ق م اي زمن تأسيس الدولة السلوقية ومن سنّة الفاتحين في كل عصر ومصر ان يؤرخوا اعمالهم من سنيّ فتوحهم او جلوس ملوكهم او دولهم. وعلى ذلك يكون زمن الكتابة الاولى عام ٢٠٧ ق م والثانية عام ٢٠٤ وذلك عهد صحيق في القدم يدل على انتشار اليونانية منذ الفتوح المكدوني ثم ان في حوران بلدًا يقال لها البثنية وهي باتانيا او باتانيس اليونانية وقد وجد الباحثون ان كتاباتها اليونانية مبدوّة باسماء الآلهة الوثنية فاستدلوا من ذلك ومن غيره على ان تاريخ نقشها سابق لعصر المسيحي. ومثل ذلك وجدوا في ام الزيتون كتابات يونانية جمة كلها تفتتح باسم الهة السعد التي كانوا يعبدون في تلك البلاد تمثلاً بمصر وهذا قبل المسيحية ايضًا. والظاهر ان العرب لما فتحوا البلاد وجدوا من بقايا عبدة هذا الوثن او عرفوا من آثارهم ما كانوا يعبدون فخلدوا ذلك بحفظهم حتى اليوم اسمًا يشير الى تلك العبادة القاسية ألا وهو دير الجمت فتأمل. وفي السويداء كتابة على بناء هلالي الشكل من عصر تراجانوس اي سنة ١٠٣ م وفي حمت كتابة يونانية مؤرخة في السنة الرابعة عشرة للفتح الروماني ونحن نعلم ان بلاد حوران فتحت في عام ١٠٦ م فهذي الكتابة اذًا كتبت عام ١٢٠ م. ثم ان اللجا كانت تسمى تراخونيتس كأنها ترجمة الاسم العبراني (كورة ارجوب) دلالةً على انها ارض صخرية فهنالك كتابات يونانية احداها تقرأ هكذا: من بوبليوس سانورينوس الى اهل فينو عاصمة تراخونيتس سلامٌ. وعلى كتابة اخرى ما عرف منها ان البناء كان في عصر القياصرة ماركوس اوريليوس انطونينوس ولوشيوس اوريليوس ڤاروس اي من سنة ١٦١ الى ١٦٩ ق م. وفي السويداء المذكورة كتابة تشير الى بناء هيكل على نفقة جماعة من التجار يسمون الشركة الباتانية (البثنية) وذلك في عهد ولاية سانورينوس في السنة الحادية عشرة للملك اوريليوس اي عام ١٧١ وهناك كتابة أخرى تذكر بناء هيكل للترفا في عهد قنصلية رومتيوس وكستر عام ١٩٦ م. وفي قرية الصنمين كتابة على هيكل معبودة السعد تاريخها في زمن اسكندر سفيروس عام ٢٣٢ — ٢٣٥ وفي قرية الشهباء كتابات مؤرخة بين عام ٢٤٦ و ٢٤٩ م وفي قرية الشوكة وهي ساكيا اليونانية كتابات كثيرة اهمها تاريخ بناء كنيسة للقديسين جورجيوس وسرجيوس سنة ٢٦٩ م وفي السويداء ايضًا كتابة تنبئ عن اشادة هيكل على نفقة الشركة الاسكندرية وذلك في عصر بوليانوس عام ٢٦١ الى ٢٦٣ م وفي عرمان وهي مدينة فيلوبوليس كتابات كثيرة اهمها واحدة تؤرخ نصبًا انشأهُ كاوتوس من اعضاء السناتو (مجلس النبلاء) في هذه المدينة وذلك سنة ٢٥٩ م وفي الشوكة

تاريخ لكنيسة اخرى عام ٤١٦ م. ثم ان في بصرى كتابة سبئية هكذا: بسم يسوع المخلص واما تاريخها فسنة ٤٨٧ م وفي كتابة اخرى ذكر بناء كنيسة عام ٥١٢ م وفي قرية اذرع كتابة مؤرخة سنة ٥١٦ وفي نجران سنة ٥٦٤ م فهذه بضعة من الكتابات اليونانية التي قرأها الآثاريون في حوران. وهناك بعضًا ماقرأوهُ في غيرها منها في باب الجريد بدمشق كتابة يونانية من عهد اركاديوس قيصر الذي تبوأ السرير عام ٣٩٥ وفي الجرش كتابات بين عام ١٣٨ الى ١٨٠ م وفي دير القلعة بجوار بيروت كتابة. مآلها ان ذلك الموضع كان هيكلاً وثنيًا لبعلمركوس اله الصيد عندهم ولكن زمن هذه الكتابة مجهول. وفي بانياس كتابة تدل على ان نشأتها كانت تكريمًا لبان المعبود اليوناني. والبحث في آثار تدمر وحدها كافٍ لاظهار الحقيقة التي نحن بصددها فان مدافنها القديمة كانت ذات كتابة تدمريَّة ولكنها لما صارت في الزمن السلوقي اصبحت الكتابات على ظاهر المدافن يونانية واما في باطنها فتدمرية وقد وجدت عدة اضرحة على هذا الطرز منها مدفن المسمى جيخوس مكتوبًا باليونانية ومؤرخًا عام ٣١٤ سلوقي اي في السنة الثانية للميلاد. وفي بعلبك كتابة يونانية تذكر زينودوروس بن ليسينياس فاختلف العلماء فيهِ فقال بعضهم انهُ زعيم اللصوص في اللجا (تراخونيتس) وذهب غيرهم غير ذلك فاذا كان الاول فتاريخ الكتابة يرتفع الى حدود العام ٢٠ م وكذلك على مقربة من جسر الحجر كتابة تاريخها سنة ٤٢ م. وفي حلب عند باب القصر كتابة تذكر قيام هيكل لارطاميس. فهذه آثار بلادنا السورية بما فيها دمشق وجوارها وكلها تنطق بفصيح لسان بسبق تعميم اليونانية فيها وان لم يكن الامر كذلك فلا نرى وجهًا للكتابات الاثرية بلغة لم تكن لغة الناس ولا لغة حكامهم

ولما كانت البلاد السورية آهلة بسكانها من الفينيقيين واليهود وغيرهم وكان لكل فريق منهم مدنٌ عامرة وقرًى حافلة ومزارع وضياع كان لا بد لهم من ان يطلقوا على تلك المواضع الاسماء التي يختارون مما يوافق لغاتهم فغلبت في اليهودية وجوارها الاسماء العبرانية وفي غيرها غيرها حتى جاء اليونان في زمن الاسكندر وخلفائهِ وكان حول السوريين قد تحوَّل وبجدهم قد انحط عن عظمتهِ ورأوا ابهة الملك العظيم فابتغوا ان امتزجوا باليونان حتى اخذوا عنهم لغتهم وعوائدهم وكثيرًا من مشاربهم كما مرَّ واما الاسماء فوقع فيها شيء من التبديل والتغيير لموافقة اللغة او لامور اخرى ارادوها فكانوا اذا بنوا مدينة جديدة في موقع قديم تناسوا اسمها الاوَّل وعرَّفوها جديدًا واذا احيوا موضعًا خصُّوهُ باسم جميل فكان علمًا له او ابتغوا الاسم القديم محرفًا عن اصلهِ. وهكذا تسنى لهم منذ السنين الاولى ان يغيروا في الاسماء وظل ذلك حالهم كل زمن دولتهم

والزمن الروماني من بعدهم حتى جاء الاسلام وافرج الرومان عن سوريا بما بقي من العناصر اليونانية لان الفاتحين كانوا لا يرضون للعربية بديلاً بل لا يصبرون على افسادها بطمطانيّة الاعاجم . فالبثوا ان نشروا لغتهم بين الباقين في سوريا ولم يمضِ الزمن الطويل حتى عادت بعض الاسماء الشرقية القديمة الى الظهور او تحرفت الاسماء اليونانية الى نهج عربي . فصارت اسماء المواضع السورية على حالة من ثلث الاولى ذات الاسم الشرقي الذي غلبهُ اليوناني فاخفاهُ محاية عصرهِ الثانية ذات الاسم الشرقي المحرَّف الى اليوناني الثالثة ذات الاسم اليوناني البحت ومثال الاولى وادي الملح سماهُ اليونان باترا ثم تسمى بعدهم وادي موسى . ومثال الثانية الجولان العبرانية سماها اليونان كولانتس ثم استرجعت اسمها الاول ومثال الثالثة طرابلس واللاذقية وانطاكية وسواها . وعلى كلٍّ من هذه الحالات الثلاث امثلة كثيرة بين مدن سوريا وقراها وانهارها لا يبقى معها مجالٌ للزعم بان لا اثر لليونانية بين تلك الاسماء في سوريا (صفحة ٢٤ من النصارى)

واما كثرة الاسماء السريانية في لبنان فناتجة عن انقياد السريان اليهِ عقيب الاضطهاد الذي ثار عليهم في الجيل السابع للمسيح وحسبنا في ذلك شيئاً قول استاذنا الفيلسوف الشهير فانديك في المرآة الوضية (الفصل الثالث وجه ١٤١–١٤٢) فاذا علم ذلك وان القوم كانوا مع اليونان على طرفي نقيض لم يبقَ من سبيل للريب في تمسكهم بلغتهم وعوائدهم حتى اذا لجأوا الى لبنان وانتشروا في اطرافهِ باشروا الحمية باقتلاع الجراثيم اليونانية منهُ ولم يكن ذلك صعباً عليهم لان العناصر اليونانية كانت قد ضعفت من جوارهم والله سبحانهُ اعلم وبذلك يعلل حفظ بعض كتبٍ طقسية باللغة السريانية وبقاء شرذمةٍ من الناس في جوار دمشق يتكلمون بها

ومما قيل ان العرب لما ملكوا بلاد سوريا واختلطوا مع اهلها ادخلوا في لغتهم العربية الفاظاً كثيرة غريبة من لغة اهل سوريا متعلقة بالديانة النصرانية ولغير ذلك وعربوها والحال ان هذه الالفاظ الشامية ليست يونانية لكن هي سريانية اه (النصارى صفحة ١٧) والذي نرى ان الكلمات المستشهد بها انما هي اربعة اضرب اولها كلمات عربية بحتة ثانيها كلمات تشترك في جرثومتها العربية وشقيقاتها العبرانية والسريانية ثالثها كلمات تشترك العبرانية والسريانية في اصلها رابعها كلمات اعجمية لغير واحدةٍ من اللغات كالفارسية وسواها . ولكن الموجود منها حقيقةً في لسان العرب والسوريين المستعربين انما هي كلمات قديمة العهد بين العرب كانوا ينطقون بها في مواطنهم البادية وقد ورد بعضها في القرآن العزيز والاحاديث والاشعار نادبك ان المسيحية كانت منتشرةً بين العرب منذ زمان طويل وتغلبها اليهودية واصحاب كلا المذهبين لا بدَّ

لهم من معرفة كتبهم والوقوف على طقوسهم بلغتهم ولذلك يغلب على الظن ان معظم الكلمات المفهومة عند النصارى انما كانوا يعرفونها رأسًا او قد استعاروها من اليهود الذين يجاورهم وكيف كان المحال لا وجه للظن بان القسم الاكبر من تلك الكلمات اخذهُ العرب عن سكان سوريا بل ان هذا القول يخالف الحقيقة على خط مستقيم. وهب ان النصارى السوريين لما لم يبق لهم صبغة يونانية واحتاجوا الى كلمات لتأدية المعاني المحدثة عندهم اخذوا بعض الكلمات السريانية فان البحث الدقيق في كتب اللغة يدلنا على شيء يكاد لا يذكر من تلك الكلمات والوجه في اخذهِ عن السريانية انها كانت من اخوات العربية وقريبة اليها وبهذا ايضًا لا يستدل على انتشارها في سوريا ابدًا. واما القول انهُ لو فرض ان العرب اخذوا تلك الكلمات وهم في بلادهم فان ذلك لاتصالهم بالسريان في بلاد الشام (قصارى وجه حاشية ٣) ففيهِ نظران النظر الاول ان وجود تلك الكلمات في العربية قبل الفتح ما لا ريب فيهِ كما مرَّ والنظر الثاني انهُ سبق فبرهنا ان السريان لم يكونوا سائدين في سوريا ادبًا ولغةً ليأخذ العرب عنهم ونزيد على ذلك بيانًا ان العرب الذين كانوا يترددون على سوريا قبل الاسلام بقصد الاتجار انما كانوا يطرقون دمشق وفلسطين فاما بادية الشام فالعنصر العربي كان متمكنًا فيها حيث مقام بني غسان وغيرهم فاذا دخل العربي المدينة او ضاحيتها يجد لسان اهلها يونانيًا لا اثر للسريانية فيهِ واما فلسطين فتغلب فيها اليونانية والسريانية بعض الشيء. وفي كلا القولين لا مجال لاتصال السريان بالعرب ليعطوهم من لغتهم واذا اعطوهم فعلى قلةٍ لا تؤثر في احداث شيء في اللغة. على ان ترداد العرب على سوريا في ابان ازدهاء اليونانية واختلاط القبائل العربية مع اليونان والرومان من بعدهم كل هذا جعل لليونانية سبيلاً الى العربية فاعطتها كثيرًا من كلماتها كما يظهر للمطلع على كتب اللغة ودخول الكلمات اليونانية في اللغة العربية واقعيٌّ ولا يخلو اما ان يكون قديمًا ايام كان العرب في بلادهم او جديدًا حين اذ اجتاحوا سوريا واصاروها عربيةً. وفي كلا الحالين بحسب من ادلة انتشار اليونانية في بلاد الشام وسنة اللغات في نقل الكلمات الغريبة اليها ان تحوّرها لتوافق منحاها في لفظها ومثل ذلك فعلت العربية في الكلمات الغريبة المأخوذة من اليونانية حتى بدا اكثرها في مظهرها العربي. ووجود مثل هذه الالفاظ في اللغة السريانية بحسب اللفظ الشرقي لا يدل على اخذ العرب تلك الكلمات عنها بل على ان السريانية نفسها لما كان متكلموها بين العالم اليوناني تعلموا منهم بعض كلامهم فحوروهُ على منتضى الفاظهم

اما قول سيادة المطران (صفحة ٣٥) ان العرب الشماليين لم يكونوا سابقًا يقرأون ولا يكتبون لغتهم حتى تعلموا صناعة الكتابة في نحو القرن الخامس والسادس وتعلموها من السريان

الخ. فنيو نظر لاننا نعلم انهُ يريد بالعرب الشماليين اولئك الذين سكنوا بادية الشام وهم الضجاعمة وبنو غسّان وبنو كلب وبنو عاملة وكلهم من عرب اليمن نزحوا الى الشام بعد سيل العرم كما ائبتهُ مؤرخو العرب . ولا خفاء ان اليمن كانت مهبط التمدن العربي القديم أبان سيادة الدولة الحميرية الشهيرة ذات الآثار المكتشفة منذ عهد قريب فليس غريبًا ان يكونوا قد حملوا معارفهم وعلومهم معهم الى منازلهم الجديدة . وهب ان عرب الشام لم يكونوا من الحميريين فان الكتابة كانت عامة لسائر القبائل منذ ازمنة متوغلة في القدم فقد ورد ان بني عاد غلبوا بني ثمود على بلاد اليمن واسسوا هنالك دولتهم الحميرية فارتحل بنو ثمود شمالاً واحتلوا بلاد الحجاز وتركوا من اخبار كتاباتهم قلمًا مخصوصًا بهم يعرف عند علماء الآثار بالقلم الثمودي . وقد وجد الرحّالة المشهوران روثي وهوبر كثيرًا من تلك الكتابات ممتدة من البادية الشامية حتى حضرموت ولكن معظمها في ضواحي مدينة الحجر في الحجاز وفي جهات خيبر وقد قرأها الآثاريون فاستدلوا على ان عصرها سابق للجيل السابع قبل المسيح ومثل ذلك وجد الباحثان كراهام ووتسرستين في جبال الصفا شرقي دمشق كل ذلك حمل العلامة هالفي ان يقول لدن علماء المشرقيات في جلسة مجمعهم الشهير في مدينة ليدن من هولاندا سنة ١٨٨٣ : ان تلك الآثار على علاتها تحسب دليلاً كافيًا على انتشار الكتابة بين كل القبائل العربية بل ان بعض الآثاريين قرأوا كتابة حميرية وجدوها على صخور بلاد اليمن تنتهي الى زمن عبد شمس ولا خفاء انهُ كان يتولى حمير في بدء الجيل الرابع عشر قبل المسيح

كل هذا يبرهن شيوع الكتابة بين العرب قبل المسيح باجيال عدة وينفي القول بتعلمهم ذلك من السريان في سوريا بعد المسيح بزمن طويل سيما وان الكتابات التي وجدها كراهام في تلك البقعة حميرية الحروف[1] . فاذا تقرّر ذلك علم ان العرب الشماليين جاءوا بكتابتهم ولفتهم من بلاد اليمن الى ضاحية الشام فلا يبقى من مجال للقول باخذهم ذلك عن السريان لانهم عرفوها وهم في باديتهم والحميريون علموها لاهل الحبشة وليس للسريان من يد في ذلك كله وحسبنا برهانًا ان علماء الآثار عندما أشكلت عليهم قراءة القلم الحميري استعانوا على حلهِ بالاقلام الحبشية والفينيقية والعبرانية والكوفية ولم ينظروا فيهِ الى السرياني فتأمل . (انظر المقتطف الاغر السنة الاولى وجه ١٤)

اما حسبان امجد هوز الخ وقوتها العددية من الادلة المؤيدة لرأي المولى فلم نفقه لهُ وجهًا

(١) (المقتطف) ✱ منذ نحو ١٢ سنة وجد الاستاذ اسعد مول الاميركي حجرًا كريمًا في جوار دمشق عليهِ كتابة حميرية بالقلم المسند اراناً اياهُ حينئذٍ فقرأناهُ اه

لانّا نعلم ان العرب كانوا يحسبون هذه الكلمات الموضوعة لجميع حروف هجائهم اسماء الملوك كانوا يتولونهم وقد اوردوا شعرًا يذكر مصرع احدهم كلمن مطلعه

كلمن هدم ركني هلكهُ وسط الحله

واما قوتها العددية بحساب الجمل فتخالف السريانية لخلو تلك من حروف ثخذ ضظغ وحسب ان الابجديتين كانتا على نسق واحد لفظًا وعددًا فقد ذهب علماء العرب من اقدم عصورهم الى انها نشأة عربية فلا وجه لحسبانها سريانية لمجرد وجودها عند السريان

اما اسماء الحروف فهي في العربية والعبرانية والسريانية على لفظ واحد تقريبًا على ان معظمها مأخوذ عن القلم الفينيقي القديم تسمية للصورة المعبر عنها بذلك الحرف كالتاء مثلاً فانها مأخوذة عن سمة كالصليب تجعل في افخاذ الابل والخيل ويقال لها بالعربية الدواء وهي صورة تلك السمة بالقلم الفينيقي القديم (ذكرهُ العلامة البستاني في محيط المحيط) وكغير هذه من الحروف الاخرى المسماة على هذا النحو مما ينفي سبق السريانية على غيرها ويؤيد استوائها في اخذها عن الفينيقية مع العربية والعبرانية

وفوق كل ذلك لم يفتح علينا بما قرأنا في القصارى بمعرفة الزمن الذي عرف السريان الكتابة فيه فان كان استنباطها من صنع السريان الذين عرفناهم فلا اقلّ من التماس الدليل على ذلك وان كانت من استنباط الكلدان والاشوريين والبابليين فلا يخلو ان يكون هولاء اخوان السريان الشاميين اولا فان كانوا كذلك فاين آثار الشاميين الخالدة على الصخور لتدل على بسطتهم الادبية وشأنهم العلمي فانّا عهدنا اخواتهم الشرقيين ينقشون اعمالهم على الحجارة شاهدًا دهريًا على ما كانوا يعلمون فلم لم يعدّهم السوريون منهم مع انهم اعرق فضلاً واكثر تسوّدًا على آداب الامم وعاداتهم ولغاتهم (كذا رأي القصارى) وان لم يكونوا اخوان السريان الشرقيين بل لكل منهم شأن مخصوص فما بالنا نأخذ من فضل اولئك النابغين لاحياء ذكر هولاء الخاملين

واني لاقتصر عن الاتيان بالادلة القاطعة المؤيدة نسبة الحروف للفينيقيين لان المقطف الاغر قد خاض في ذلك ببراعة لانترك للتالي مجالاً وحسب القراء الكرام من نفثات اقلام العلامتين البارعين منشئي هاتو المجلة الوضاء ثبتًا يؤيد الحق وجيزة تقطع قول كل خطيب انتهى

طرابلس جرجي بني

مقياس الاعتقاد

(وهو جواب المسألة البيانية الواردة في الجزء السادس)

كما ان للحرارة مقياساً تعرف به درجات قوتها وضعفها وللهواء مقاساً تعرف به درجات ضغطه وللفكر كما في الجزء الاخير من المنتطف مقياساً تعرف به سرعته كذلك للاعتقاد مقياس تعرف به درجاته وهو التأكيد

ولا يعلم بالتحديد الزمن الذي اخترع فيه هذا المقياس ولا من سبق الى اختراعه غير انه يمكن ان يقال انه ظهر مع ظهور اللغات ولذلك اعتبرهُ جميع الامم (لا العرب وحدهم) مقياساً يعرف به السامعون درجة جزم المتكلم بما يتكلم به

فاذا سمعنا انساناً يقول	عبد الله فاضل	(٠)
وثانياً يقول	ان عبد الله فاضل	(١)
وثالثاً يقول	ان عبد الله لفاضل	(٢)
ورابعاً يقول	والله ان عبد الله لفاضل	(٣)

لا نفهم من كلام الاول درجة جزمه بفضل عبد الله لانه لم يقم عليه دليلاً وانما نفهم الخبر مجرداً ويعتبر التعرُّض للجزم بفضل عبد الله صفراً . ونفهم كلام الثاني ان جزمه بالفضل في الدرجة الاولى ومن كلام الثالث ان جزمه به ارقى فيكون في الدرجة الثانية ومن الرابع ان جزمه في الدرجة الثالثة وهكذا

فقد امكننا بهذا المقياس تعرُّف درجات جزم المتكلم بما يتكلم به ولنا بعد ذلك ان نصدقه وان نكذبه لانه لم يسق كلامه ليحملنا على اعتقاد صدقه بدون ان يقيم برهاناً وانما ساقه ليعرفنا ما عندهُ من الجزم بالخبر وعليه ان يقيم الدليل اذا رأى ان في الامر حاجة اليه

ولا يخفى انه لا يحسن من المتكلم ان يتعرَّض لبيان ما عندهُ من الجزم اذا كانت غايتنا من كلامه مجرَّد الخبر لانه يكون فضولاً لزيادته عن قدر الحاجة كما لا يحسن منه ترك التعرُّض له اذا آنس منا شكّاً او انكاراً لان ذكر الخبر مجرداً في هذه الحالة يكون ضرباً من تحصيل الحاصل لاننا كنا شاعرين به من قبل

هذا سبيل التأكيد كلها واللغات المعروفة لهذا العهد يوجد فيها ذلك فالتأكيد في مواضعها من جملة الاصول اللغوية الواجب لحاظها في الكلام وليس ذلك قاصراً على التأكيد البياني بل التأكيد النحوي كذلك ألا ترى انك اذا اردت ان تخبر بانك قابلت السلطان

واستشعرت من مخاطبك استعظام الامر تجد لسانك ينطق على البديهة بقولك قابلت السلطان نفسه وترى انك قد وفيت الكلام حقه لانك بينت حقيقة ما تريد فلم يبقَ للسامع ان يصرف قولك عن ظاهره ذاهبًا الى ان مرادك وزير السلطان او كاتبه مع ان كلمة نفسه ليست برهانًا على الدعوى

ويختلف هذا المقياس عن غيره من المقاييس بان دلالته على درجة جزم المتكلم انما هي بحسب ما يريده المتكلم ويقصد اظهاره للسامع لا بحسب الواقع ونفس الامر دائمًا فاذا شاء ان يظهر للسامع ان عنده جزمًا يقينًا اكد له وان لم يكن ذلك الجزم عنده في الواقع . والتوكيد كما يكون بإن ولام الابتدا يكون بأن واحرف التنبيه والقسم والحروف الزائدة وقد ونون التوكيد واما الشرطية والتكرير والالفاظ السبعة التي تذكر في النحو النفس والعين وجميع وعامة وكل وكلا وكلتا

وهذا السوال يقع كثيرًا لطلاب البيان ويشتبه عليهم موضع التوكيد وموضع البرهان . نُقل ان احد ملوك العجم قال لبعض الائمة ان في لغة العرب فضولاً والفاظًا زائدة تارةً يقولون عبد الله قائم وتارةً ان عبد الله قائم وتارةً ان عبد الله لقائم فقال له ان اللغة وضعت الاول لخطاب خالي الذهن والثاني للشاك والثالث للمنكر فراق بعين الملك ذلك الجواب وكان من اعظم الاسباب لاشتغال اهل ذلك الزمان بفنون البيان

مصر حفني ناصف

مدرّس الانشاء في مدرسة الحقوق

المرء مؤاخذٌ باقراره

حضرة منشئي جريدة المقتطف الفاضلين

طالعت في جريدتكم الغرّاء مسألة فقهية مفادها هل يقبل شرعًا العدول عن الاعتراف الصحيح المستكمل للشروط الشرعية . وقد ذكر حضرة السائل انه عرض هذه المسالة على احد الحامين فاجاب بالايجاب اي بقبول العدول وعدم اعتبار ذلك الاعتراف الاّ انه لما لم يقتنع بهذا الجواب طرح المسألة في المقتطف ليرى رأي قرائه فيها

فجواباً عن ذلك اقول انه اذا كان المراد بالاعتراف "الاقرار" فقد اصاب حضرة السائل في عدم اقتناعه من الجواب الذي ذكره لان الشرع يصرّح بمواخذة المرء باقراره (المادة ٧٩ من مجلة الاحكام العدلية) عدل عنه او لم يعدل لان الاقرار عند الفقهاء هو "اخبار الانسان